

A Project of the Atlantic Council's Rafik Hariri Center for the Middle East

Magdy Samaan
February 10, 2012

مجدي سمعان

"تطوير الهجوم بلا قائد"

منذ أكثر من شهرين أصبح ظهور أحد قيادات المجلس العسكري الحاكم في مصر أمرا نادرا، فقد تعايشوا مع الاحتجاجات التي تحدث في الميادين العامة. أمام هذا قررت القوى الثورية تصعيد وسائل الاحتجاج بالدعوة للعصيان المدني بشكل متدرج، ونقل التظاهر اليوم الجمعة من ميدان التحرير إلى مقر وزارة الدفاع لتضيق الخناق على الحكام العسكريين المتحصنين خلف الأسوار، والدبابات التي عادت إلى الشوارع بالتزامن مع الذكرى السنوية لتتحي الرئيس السابق حسني مبارك.

الدعوة للعصيان المدني تتبناها الحركات الشبابية في الأساس، فقد تبنتها الإتحادات الطلابية بمعظم جامعات مصر، وأعلنت القوى الثورية أن العصيان سيكون تدريجيا بداية بالجامعات ثم القطاع العمالي فالقطاع المصرفي وانتهاء بقطاع النقل. ويتبنى الداعون للعصيان بعض المطالب غير المتبلورة في قائمة واحدة، وإن كان أكثرها شيوعا هو رفض إجراء الانتخابات الرئاسية تحت حكم العسكر وإلغاء المادة 25 من الإعلان الدستوري التي تحظر الطعن على نتيجة الانتخابات الرئاسية، علاوة على تحديد جدول زمني للانتخابات الرئاسية التي أعلن عن فتح باب الترشيح لها في 10 مارس المقبل.

ومع الحديث عن العصيان المدني بدأ الإعلام المصري يستدعي نماذج الشهيرة مثل نموذج الهند بقيادة المهاتما غاندي ونموذج حركة الحريات المدنية الأمريكية بقيادة مارتن لوتر كيننج ونموذج التحرر بقيادة نيلسون مانديلا، لكن التيارات الثورية تجرب أسلوب العصيان المدني بدون ذلك القائد الذي يمثل مطالبهم ويوحد شتاتهم. في وقت يتواجد فيه شارع سياسي ساخن يتمتع بدرجة عالية من الوعي والقدرة على التنظيم والحركة كان الدكتور محمد البرادعي، المدير السابق للوكالة الدولية للطاقة الذرية الحائز على جائزة نوبل للسلام، مؤهلا للقيام بهذا الدور، بل أن المتظاهرين في ميدان التحرير اختاروه أكثر من مرة ليمثلهم، لكنه أثر سلامته الشخصية وخذلهم، فحين طلبوا منه المشاركة في الذكرى السنوية الأولى لثورة يناير كان رده أنه سيقدر ذلك إذا كانت الحالة الأمنية تسمح بذلك! وكانت حركته بطيئة عن الشارع، وحتى وإن كان مبررا خطورة نزوله الشارع إلا أن ظهوره الإعلامي أيضا كان موسمي وعبر التويتر في الأساس، وحركته السياسية بين النشطاء السياسيين من الشباب كانت محدودة.

وتسبب عدم وجود قائد يوحد حركة ومطالب الشارع الوقوع في الأخطاء التي سحبت جزء من التعاطف الشعبي، فمثلا كان حجم الغضب في الشارع المصري هائل عقب حادث ستاد بورسعيد الذي قتل فيه 76 مشجع تابع للأنتراس النادي الأهلي، وفي اليوم التالي خرجت مظاهرات غاضبة في كل مصر نظرا لشعبية النادي الأهلي الجارفة، لكن

غياب قيادة في الشارع أدى إلى خروج حالة الغضب عن السيطرة واتجاهها إلى الهجوم على وزارة الداخلية ومع الوقت تراجع التعاطف الشعبي وأصبح النقاش هل من يهاجمون وزارة الداخلية بلطجية أم لا.

من شاركوا في مسيرة الجمعة ودعوا للعصيان المدني على يقين أن حادث ستاد بورسعيد هو مؤامرة مدبرة من قبل المجلس العسكري للانتقام من شباب الألتراس لدورهم في الثورة. وفي ظل هذا الجو المشحون بنظريات المؤامرة تنعدم الثقة في إمكانية أن يقود المجلس العسكري انتخابات رئاسية نزيهة. وعزز عدم الثقة في نزاهة الانتخابات أن الحديث عن الصفقة بين التيارات الإسلامية والمجلس العسكري أصبح له ما يبرهنه من مواقف تلك الجماعات من الأحداث ومن المطالب داخل البرلمان، فقد دافعوا عن المجلس العسكري واتهموا المتظاهرين بالبلطجة. وكانت انتخابات مجلس الشورى التي انتهت المرحلة الأولى منها الأسبوع الماضي مؤشرا آخر على عودة حالة عدم الثقة إلى الشارع، فبعد أن وصلت نسبة المشاركة في انتخابات مجلس الشعب إلى أكثر من 50% لم تتعدى المشاركة في انتخابات مجلس الشورى في المرحلة الأولى نسبة الـ 6.5%، وبالرغم من أن البعض برر ذلك بعدم أهمية مجلس الشورى مقارنة بمجلس الشعب في الانتخابات إلا أن هذا ليس حقيقي فالشورى دور أساسي في مهمة البرلمان الأساسية في وضع الدستور.